ومما اذهل الدنيا تقدم اليابان في اواخر العصر الفائت ولحاقها باوربا في كل شيءٍ يقابلهُ تأخر جارتها الصين مع ان سكان البلادين من اصلٍ واحد

وآخر ما يليق ذكرهُ في هذا الباب تهافت اوربا على اقتسام افريقيا بحيث لا تمضي بضع سنوات حتى لا يعود فيها شبر ارض غير داخل في ولاية دولةٍ منها وكل هذه شؤون سياسية معروفة ولكن المقام اقتضى الالماع اليها تكملةً للبحث . وفي الختام اقول ان القرن التاسع عشر بلغ المدى وتجاوز الحدّ في الامور المادية ولكنهُ اسفر عن تقصير عظيم في الامور الادبية والشؤون الكمالية التي تجعل الانسان انساناً صحيحاً فتحول فكرهُ الى مغاني السعادة الحقة وتقلل مطامعهُ في زخرف الدنيا وزينتها ولكن بعضهم يؤمل ان يكون القرن العشرون هو الكفيل بابلاغنا تلك الغاية القصوى على ان اوائلهُ تنذر بعكس هذا الامل فعسى ان تنقلب الآية ويتغلب الهدى على الغواية وعسى ان لا يكون القرن الجديد كالسنديان يبدأ السوس باكلهِ من رأسهِ لا من جذعهِ ومن يعش يرَه

الموشح

لحضرة الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

هو اسمٌ لهذا النوع المعروف من الشعر وقد يسمَّى موشحة ذهاباً الى القصيدة فيقال موشحة ابن خلوف اي قصيدتهُ الموشحة وتوشحت المرأة في اللغة لبست الوشاح وهو قطعة من نسيج شبه القلادة تُرصَّع بالجواهر ومن هذا يتبين لك الشرف الذي ارادوا ان يَسِموا بهِ هذا النوع من الشعر

فكانهم شبهوا القصيدة من النمط المألوف بالمرأة العاطلة من الحلي فلما صارت الى هذا النوع الذي منهُ المخمَّس والمسبَّع والمسجَّع والمرصَّع بدت كالحسنآء الموشحة بقلائد اللؤلؤ وعقود الجواهر وكفى بهذا الاسم وصفاً وتعريفاً

وغلب على الموشحات لقب الاندلسية نسبة الى محل استحداثها واختراعها قال ابن خلدون واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيهِ وفنونهُ وبلغ التنميق فيهِ الغاية استحدث المتأخرون منهم فنًّا سموّهُ بالموشح ينظمونهُ اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً الى ان قال وكان المخترع لها (الموشحات) بجزيرة الاندلس مقدّم بن معافر القربري من شعرآء الامير عبد الله بن محمد المرواني . وقال ابن بسّام في الذخيرة عند ذكر عبادة بن عبد الله بن مآء السمآء كان في ذلك العصر شيخَ الصناعة واحكم الجماعة سلك الى الشعر مسلكاً سهلاً فقالت غرائبهُ مرحباً واهلاً وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود فاقام عبادة هذا عمادَها وقوّم ميلها وسنادَها فكانها لم تُسمَع بالاندلس الا منهُ ولا أخذت الا عنهُ . وقال ابن دحية عند ذكرهِ الوزير ابن زُهر والذي انفرد بهِ شيخنا وانقاد لطباعهِ وصارت النبهآء من خوَلهِ واتباعهِ الموشحات وهي زبدة الشعر ونسبتهُ وخلاصة جوهرهِ وصفوتهُ وهي من الفنون التي اغرب بها اهل الغرب على اهل المَشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيآء المُشرق

وكفى بشهادة هؤلآء الائمة الاعلام حجةً للقول بافضلية الموشحات على سائر الشعر فقد كان يضيق على الناطقين بهِ من بلغآء الجاهلية فيعمدون

الى الاراجيز للتعبير عما يقصدون وانت تعلم ان مقاصدهم واقوالهم لم تكن تتعدى المحسوسات لعهدهم فضلاً عن السذاجة البدوية التي كانت تبيح لهم مخاطبة الصعلوك اميرهُ بلهجةٍ لا فرق بينها وبين مخاطبة سائر الناس . واين تلك من حالنا اليوم وما يقع تحت ابصارنا من غرائب المصنوعات وعجائب الآلات والقصور المزخرفة والاواني المستطرَفة الى غير ذلك مما لم يخطر ببال النابغة ولا حلم بمثلهِ امرؤ القيس فضلاً عما يبتكرهُ شاعر العصر من التخيلات التي تولدها في خاطرهِ هذه المرئيات وغيرها من سائر المحسوسات وفضلاً عما توحيهِ اليهِ علوم هذا العصر وفي كل يوم لنا منهُ عجيبةٌ بل عجائب . وهذا كلهُ عدا ما تقتضيهِ آداب هذا الاوان ورقة اهليهِ والتأدب في مخاطبة اصحاب المراتب العالية والمنازل السامية والتفنن في محادثة الغانيات بلطافةٍ ما جالت بخاطر بن الاحنف وكياسةٍ وظرفٍ لم يمرّا ببال ابن زيدون والبهآء زهير الى غير ذلك من سرد شؤونٍ لم يكن يقع مثلها في عصرهم وذكر مسمياتٍ جديدة تفوق الحصر ولا غنى للشاعر عن ذكر بعضٍ منها والتلميح اليهِ في عرض الشعر لايضاح مرادهِ وتصوير الحقيقة للسامع اذ من المعلوم عند جهابذة العلمآء واهل النقد منهم ان الشاعر المجيد مصوّر يصوّر الحقائق بالطف المعاني وادقّ الاشارات وافصح الالفاظ وارق الاستعارات ويكسوها من حسن اسلوبهِ وبيانهِ بل من جوهر نفسهِ وعواطف جنانهِ ما تكاد تشربهُ لسلاستهِ النفوس ويقول سامعهُ لا عطر بعد عروس بل يكاد يتوهم انهُ يرى المحدَّث عنهُ باوضح مجالي الحسن والجمال وابدع غايات البهآء والكمال

ولما رأى شعرآء الاندلس ان هذه الابحر المعروفة من الشعر وطريقته القديمة لا تفي بوصف حاجات حضارتهم بما فيها من التقييد بالقافية الواحدة وهو ضربٌ من تقييد الذهن واللسان بل ضربةٌ تقضي على الشاعر في اكثر الاحوال ان يعدل عن الفصاحة الى ان يضعف المعنى الذي هو روح الكلام — وقد تقضي عليهِ ان يتغاضى عنهُ بتةً — اطلقوا لقرائحهم العنان وحلّوا ألسنتهم من عقال القصائد الطويلة ذات القافية الواحدة وسلكوا هذا المسلك الانيق وتعشقوا هذا الفن الرشيق فكان ذلك خطوةً كبيرة في طريق الشعر العربي وترقّيهِ . الا انهم لم ينظموا منهُ الا الزهريات والخمريات والغزليات ومدح بهِ بعضهم ونظم بعض المتصوفة موشحاتٍ كانت غايةً في الخشوع كما فعل محيي الدين بن العربي وغيرهُ . ثم وقف الموشح عند هذا الحد وتراجع امر الحضارة في الاندلس الى ان طمست تلك المعالم الزاهرة وامّحت تلك العلوم والفنون الباهرة فلم يفكّر احدٌ بعد ذلك في استخراج تلك الكنوز واحتذآء هاتيك الرموز والنسج على منوال هذه الباقيات الصالحات والتفاخر بهذه الموشحات على شعرآء سائر اللغات الا ما وُجد منها في طيّ الدفاتر مخزوناً او في بعض المكاتب مدفوناً فكانهُ قُضي على الشرقيين ان لا ينفكوا عن التمسك بالقديم ولو كان مرغوباً عنهُ ويرفضوا كل ما يرد عليهم من الجديد ولو كان خيراً منهُ

وليس قصدي الحطّ من قدر الشعر القديم او طريقتهِ فذلك مما لم يذُر في خلدي وقدرهُ فوق ذلك غير انهُ من حقّهِ ان يصبح كسائر العاديّات النفيسة فيُحتَفظ بهِ ويُنافَس فيهِ تخليداً لفضل قائليهِ وتأريخاً

لاحوالهم في تلك العصور واما نهج منهاجهم بعينهِ وتحذي كناياتهم وتعبيراتهم فمما يمجّهُ الذوق في هذا العصر واقرب منهُ تكاينك احد الشعرآء العصريين اللابس آخر زيٍّ من لباس اهل پاريس البالغ منتهى الرشاقة ان يتزيا بزيّ البحتري مثلاً فيضع على رأسهِ عمامة كأنها غمامة ويلبس سراويل تَسَع جثة فيل ويرتدي جبّة تدخل في احد اكمامها قبّة اذ ما الفائدة او اللذة من إتيان الشاعر المصري او الحلبي بذكر الاظعان والهوادج والتشبيب ببنت الحي وربعها والتغزل بخمارها وخلخالها والبكآء على رسم طلولها الدارسة والتشوق الى المياه والمناهل وتذكر الاحبة عند خفوق البرق الى ما اشبه ذلك من الامور التي ذهب زمانها وولى اوانها فاين اليوم اظعاننا والهوادج ومن هي بنت الحي التي يغار عليها اهلها من خيال في المنام واين القوم الذين يرحلون في طلب النجعة ويتركون ديارهم خالية وما نحن في البيد والفلوات ولا رسوم عندنا دارسات ومن منا الشاعر الذي تعرفهُ الخيل ويرهبهُ الليل ويحمل الرماح السمهرية ويتقلد السيوف الهندية أليس هذا كلام أمّةٍ خلت. فان كان ثمة لفصاحتهِ وعذوبة الفاظهِ لذةٌ في المسامع فلا اسهل من التفكّه بقرآءة اشعار عنترة والمتنبي وانت تتصوّرهما بزيهما العربي على حصانيهما واولهما يقول

حصاني كان دلاّل المنايا نخاض غبارها وشرى وباعا

وثانيهما يقاتل مع ابنهِ المحسّد وعبدهِ وهو ينشد

الخيل والليل والبيدآء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

واما ان شئت ان تتنزّل بما يناسب حالة هذا العصر فطرّس على آثار

الاندلسيين بموشحاتهم وقل كما قال اثير الدين الجيّاني الاندلسي

نصبَ العينين لي شَرَكا فانثني والقلبَ قد ملكا
قمرٌ اضحى لهُ فلكا قال لي يوماً وقد ضحكا
أتجي من ارض اندلسِ نحو مصرٍ تعشق القمرا

او كما قال ابن زمرك في الزهريات

فالوُرق هبّت من السِناتِ لمنبر الدوح تخطبُ
تسجعُ مفتنّةَ اللغاتِ كلٌّ عن الشوق يعربُ
والغصن بعد الذهاب ياتي لأكؤس الطلّ يشربُ
وادمع السحب في انسياحِ في كل روضٍ لها سبيلْ
والجوّ مستبشر النواحي يلعبُ بالصارم الصقيلْ

وان شئت وصف بستان او قصر او وصف مجلس أنس او غادة او غير ذلك من الاماكن والاحوال والشؤون وصفتها بما فيها وجئت بما يقرب من الحقيقة شأن المصوّر البارع الذي اذا شآء تصوير شجاع لم يعمد الى تصوير اسد واذا اراد تصوير غانية حسنآء لم يرَ ان يصوّر وجهها مدوّراً كقمر السمآء واذا رغب ان يرسم قصراً في منتهى الابداع لم يختر تصوير حجارتهِ من الذهب والفضة بل يصوّر لك انساناً كامل الخلقة تقول عند رؤيتهِ اين منهُ الليث وغانيةً في احسن تقويم تامّة التكوين تقول عندها تبارك الله احسن الخالقين وقصراً بدت احجارهُ تزري بالفضة لحسن تركيبها وتنميقها وجمال حفرها ونقرها فتتمنى لو كان حقيقةً لا رسماً . والفرق بين الشاعر والمصوّر أن الشاعر يصوّر بالالفاظ والمصوّر بالالوان ولهذا كان

لا بد للشاعر من التبديل في القوافي فتكرار اللون في صورةٍ واحدة كتكرار النغم الواحد يُملّ ولو كان من اشهر المغنين وأن ما يصوّرهُ الشاعر ينقلهُ الصوت الذي يروي شعرهُ الى مخيّلة السامع فيرى الصورة الوفٌ من الناس في مئاتٍ من البلاد وصورة المصوّر لا يبدو حسنها لغير الرآئي فشتّان بين المصوّر اللفظي والمصوّر اليدويّ

ولما كانت حقيقة الشعر كما وصفنا وكان وصف البيد والخيل والنوق والاظعان والرماح وغيرها من احوال البداوة قد سُبق اليهِ وتكرّر من ألوفٍ من الشعرآء المُجيدين لم يتركوا في وصفها زيادةً لمستزيد وكان المطلوب وصف احوالنا لهذا العهد وتصويرها بالصورة المتعارفة في عصرنا الحاضر كان مذهب الموشحات باكثر اوزانها أليق بحضارة هذا الاوان واقرب تناولاً للمعاني والى الانتقال من حالٍ الى حال ومن أسلوبٍ الى آخر او الى وصف شؤون تتعلق بمراد الشاعر وتقيد السامع تمام قصدهِ وادق وجداناتهِ اذ لأسماط الموشح وتغيير قوافيهِ والعود الى القافية او القافيتين اللتين يجعلهما الشاعر قفلاً لابواب موشحهِ من الفكاهة في السمع ومن السهولة في ايضاح المعاني اللائقة لها ما لا يوجد في القصيدة الطويلة ذات القافية الواحدة

وهنا استأذن حضرة الاستاذ الفاضل صاحب هذه المجلة ان اورد ما كتب اليَّ في هذا المعنى وقد كتبت اليهِ استنزل رأيهُ فيهِ فوردني من حضرتهِ الجواب وفيهِ فصل الخطاب ولذلك اختم بهِ هذه العجالة التي سطرتها امتثالاً لاشارتهِ قال اعزهُ الله

... ولقد اصبتم في ايثاركم هذا المذهب من النظم فانهُ كما ذكرتم اخف محملاً على الآذان واقرب تناولاً للمعاني وابعد عن ملل السامع بما يتبدل عليهِ من القوافي فهو من هذا القبيل اشبه بالشعر الافرنجي الذي طالما حامت حواليه شعرآء هذا العصر حتى ان بعضهم خالفوا في قوافي القصيدة الواحدة فما زادوا على ان كسوا نظمهم لباساً من الهجنة اذ كان لايرجع الى ترتيب ولا يجري على شيءٍ من التناسب الذي هو قاعدة الجمال . ولذلك كان الموشح من هذا الوجه افضل من الشعر الافرنجي ايضاً لما بين اجزآئهِ من الارتباط الذي يضم الموشح كلهُ الى سلكٍ واحد ويردّ كل شاردٍ منهُ الى مقرٍّ معروف وحبذا لو صدرتم موشحكم الآتي بمقالة في هذا المعنى فانها ولا شك سيكون لها عند القرآء وقعٌ جميل ... الى آخر ما تفضل به مما لا احسب هذه المقالة في شيءٍ منهُ بيد اني استميح لها رضى افاضل القرآء فان حصلت عليهِ فهو حسبي . اه

وسننشر الموشح المشار اليهِ في الجزء الآتي ان شآء الله

الضوء في المرّيخ

لم يبرح المرّيخ من يوم اختُرعت المناظير المكبرة موضع حيرةٍ للعلمآء والراصدين بما يظهر فيهِ حيناً بعد آخر من الغرائب والاسرار منها في تبدُّل شكلهِ ومنها في اختلاف لون تربتهِ ومنها فيما يُرَى على سطحهِ من الخطوط الشبيهة بالجداول والترع تظهر احياناً وتخفى احياناً وتنفرد تارةً وتزدوج اخرى الى غير ذلك مما سنفرد لهُ مقالةً مخصوصة . وقد تناقلت الجرائد والمجلات في هذه الايام نبأ تلغرافٍ بعث بهِ المسيو پيكرين من كمبريج بتاريخ ٨ دسمبر الفائت يقول فيهِ ان المسيو دوغلاس اعلن من مرصد لويل انهُ عاين في الليلة السابقة لذلك التاريخ ضوءًا على سطح المرّيخ ظهر من حيال